

غروية دليلة

جامعة عنابة

إشكالية الإعلام و الدعاية إبان الثورة التحريرية الجزائرية

ملخص:

نحاول من خلال دراستنا هذه البحث حول إشكالية الإعلام والدعاية إبان الثورة التحريرية الجزائرية لما تمثله من وسيلة أساسية وفعالة في توعية وتوجيه الرأي العام الوطني والدولي نحو قضية مهمة تتعلق بشرعية مطالب حقوق الجزائريين بالاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، الدعاية، الثورة التحريرية الجزائرية.

مقدمة

تم تبني مفهوم الدعاية كركيزة أساسية لتوعية و تجنيد الرأي العام الوطني و العالمي كي تتضح له شرعية مطالب حقوق الجزائريين السياسية و على رأسها الاستقلال و بالتالي يلاحظ الخط الرفيع الذي فصل الإعلام عن الدعاية التي كانت بمثابة وسيلة تكريس أهداف الثورة و قد تكررت كثيرا كلمة دعاية في ارضية مؤتمر الصومام و خلال سنوات الثورة و على مستوى البعثات الخارجية لحزب جبهة التحرير الوطني و كان اغلب صحفيي الجرائد حينها لا سيما جرائد المقاومة و المجاهد منخرطين في حزب جبهة التحرير الوطني مما يدل على ذهاب ايدولوجية الحزب إلى منحى إعطاء كل من الإعلام و الدعاية بعدا واحدا في سبيل الوصول لهدف الاستقلال.

مراحل الصحافة الثورية

مرت الصحافة الثورية بمرحلتين:

- من 1954 إلى 1956:

لم تكن صحافة ثورية بآتم معنى الكلمة بل اقتصرت على ترويج الحزب لمناشير إلا أن الصحف الوطنية الأخرى تنبأت بفشلها.

و أوقفت صحافة حركة انتصار الحريات الديمقراطية اعتقادا بأنها سبب اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، بعدها توقفت كل الصحف الوطنية المؤمنة أصلا بفكرة التحرر لتلتحق بالثورة التي دعتها لذلك.

- من 1956 إلى 1962: (بين الدعاية و الإعلام)

بدأت جبهة التحرير الوطني في التفكير بتكوين صحافة خاصة خلافا للمناشير و بعض الصحف التابعة للولايات، فأسست ثلاث جرائد في كل من فرنسا و تونس و المغرب تحت عنوان واحد و هو المقاومة الجزائرية، طبعت باللغة العربية و الفرنسية حجمها 41x61 سم، و أنشأت صحيفة أخرى بالعاصمة سم عنوانها المجاهد باللغتين و كانت سرية محدودة الظهور.

سنة 1957 تم إيقاف المقاومة الجزائرية و دمجت هيئة تحريرها ضمن تلك الخاصة بالمجاهد الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني و انتقلت إلى تونس التي صارت مركزا لها في نوفمبر 1957، و وزعت على جميع أنحاء العالم و دخلت حدود الجزائر لتقرأ جماعيا على المواطنين و توزع على المناضلين و لا زالت تصدر لحد اليوم.

و تعد سنة 1956 بمثابة السنة الحاسمة في مسيرة الثورة لأنه تم خلالها عقد مؤتم الصومام الذي تضمن ثلاثة فصول أساسية:

* المرحلة السياسية الحالية

* آفاق عامة

* وسائل العمل و الدعاية

هذا الفصل الأخير الذي تضمن كافة الوسائل المعمول بها بما فيها الدعائية في سبيل الوصول إلى الهدف الأساسي و هو الاستقلال.

و هذا ما يدعو إلى التساؤل (1): هل خلو نصوص موائيق حزب جبهة التحرير الوطني من مواد تخص دور الإعلام بعد الاستقلال، لدليل على أن الدعاية قد اقتصر دورها على تحقيق الاستقلال؟

تتجلى إذن الرغبة الكبيرة في تسييس صفوف الجيش و توعية الرأي العام العالمي

و الفرنسي على الخصوص، إلا أن مفهوم دعاية اختفى من لغة الإيديولوجيين الرسميين للجزائر المستقلة، في الوقت الذي دعا فيه المشرعون في مؤتمر الصومام و أكدوا على ضرورة تفعيل الوسائل الدعائية على كل المستويات بدءا بالمستوى المحلي وصولا للخارجي.

و قد رأى محمد حربى (2) بأن المشروع التمهيدي لمؤتمر الصومام قد حمل بصمات محرره الرئيسي عمار أوزقان، الذي كان أمينا عاما سابقا للحزب الشيوعي الجزائري.

و هذا ما جعل مفاهيم ك الوطنية، و الشعبية و المحافظة الاجتماعية يعبر عنها على الطريقة الماركسية.

و الدليل على ذلك تبني مفهوم الدعاية تماما على الطريقة اللينينية و بنفس التعريف الممنوح لها من طرف هذه الأخيرة.

و لم يستعمل مفهوم إعلام إلا عندما تم التطرق إلى بند يدور حول ضرورة تمتع الشعب الفرنسي بحقه في الإعلام حول ما يرتكب من جرائم بشعة باسمه.

و لتفعيل و تجسيد الدعاية و وضعت عدة وسائل من بينها تسييس الصفوف و الإجابة السريعة و الفورية على كل أكاذيب المستعمر، و كذا أن يستعمل حزب جبهة التحرير الوطني لغة جادة و ثورية و صريحة و زرع روح المسؤولية.

و قد كان محررو المشروع واقعيون عندما ذهبوا إلى الجزم بأن الدولة الفرنسية التي تتحكم في كل ما هو استراتيجي كالشرطة و الإعلام صحافة و إذاعة و الإدارة الجزائرية، لهي قادرة على تحقيق التأثير النفسي في تعاملها مع الأحداث بخلاف حزب جبهة التحرير الوطني الذي لم تكن له الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك بالرغم مما تساهم به الصحافة الليبرالية الفرنسية في هذا المجال.

و كما قلنا آنفا فإن جريدة المقاومة الجزائرية صدرت سنة 1956 متبوعة بعدها بالمجاهد الذي صدر بعد مؤتمر الصومام و لم يعد صدوره دوريا قارا إلا في أوت 1957 بعد تعليق جريدة المقاومة الجزائرية، و هذا ما يرجح كفة النقص الفادح في إمكانيات الحزب من التحكم في وسائل الإعلام أو الدعاية على طريقة مؤتمر الصومام.

و قد كان رضا مالك مديرا لجريدة المجاهد بدءا من جويلية 1957، و قد حارب المكتب النفسي لجيش الاحتلال الصحافة الثورية في أكثر من مناسبة، و لعبت إذاعة صوت الجزائر التي رأت النور في 1956 دورا كبيرا في تصدير الثورة إلا أن قوة الإعلام كانت في " أهدافه المحددة بدقة و في دمج كل شرائح المجتمع في فكرة الحصول على الاستقلال و كذا في التزام مسيريه بمبادئ الثورة و بالموضوعية" (3).

و يعتبر عبد الحميد مهري بأن صحافة الثورة كانت بعيدة عن الديماغوجية، نبعت من الثورة و انطلقت منها و لم تعمل بعيدا عنها أو على هامشها و بالتالي ابتعدت عن التنميق

و الزخرفة و اتسمت بنقل الحقائق و المصادقية، فقد ترجمت واقع الشعب و الثورة بكل موضوعية. (4)

و يمكن إيجاز خصائص الصحافة الثورية فيما يلي:

1- كان الإعلام بمثابة الدعاية للاستقلال الوطني حيث كان هدف الإعلام (الدعاية) واضحا بالرغم من أن معناه الدقيق لم يحدد في 1954، بل حتى سنة 1957، في نوفمبر تحديدا في العدد 12 من المجاهد، و ذلك في مقال تم تسليمه من طرف رضا مالك إلى عبان رمضان رئيس لجنة الصحافة و عضو لجنة التنسيق و التنفيذ CCE الذي دار حول موضوع الإدارة السياسية للثورة قبل خلق الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية GPRA .

فالثورة لم تنحصر في حدود حرب التحرير بل امتدت إلى تحويل المجتمع، كما أن الاستقلال لم يكن ليطلق مصالح جماعة محددة من الشعب بل كافته، و كذا فإن الاستقلال هو النتيجة التي يساهم في الوصول لها الجميع تحقيقا للسيادة و التطور.

كان الإعلام إذن دعاية لهذه الثورة التي كانت من الشعب و إليه.

و إلى جانب احتواء كلمة دعاية في مشروع أرضية مؤتمر الصومام فإنها تكررت باستمرار طوال سنوات التحرر وكانت حاضرة على مستوى البعثات الخارجية لحزب جبهة التحرير الوطني.

و في تقريره للجنة التنسيق و التنفيذ بتاريخ 5 أوت 1958 أشار كريم بلقاسم أحد مسؤولي اللجنة إلى وجود مستشارين على مستوى كل بعثة لحزب جبهة التحرير الوطني

و ذلك للتكفل بالتمويل بجمع الهبات الخاصة بالثقافة و بالدعاية(5).

وقد اقترح محمد حربي الذي شغل منصب أمين عام للشؤون الخارجية بالحكومة الجزائرية المؤقتة، ما بين سبتمبر 1961 و أكتوبر 1962، بالبداية في حملة دعائية في الغرب بخصوص اللاجئين الجزائريين و التجارب النووية الفرنسية(6) كما أن مبروك بلحسين، نائب أمين عام وزارة الشؤون الخارجية السالفة الذكر، صرح بأن دعاية قوية يجب أن تجند و تكيف حسب مقتضيات المغرب و الوطن العربي و الشرق و الغرب(7).

و تجدر الإشارة إلى أنه كانت توجد لجنة للدعاية في صالح حزب جبهة التحرير الوطني متكونة من خمسة أعضاء من فيدرالية فرنسا و قد لعبت دورا هاما في ربط الثورة بالليبراليين بفرنسا و بلجيكا.

و على المستوى الوطني نظم مؤتمر الصومام جيش التحرير الوطني ووزع المفتشين السياسيين على مستوى الولايات الست للاهتمام بالمجتمع و التنظيم السياسي و التعليم

و لمساعدة عائلات الشهداء.

و نستطيع أن نقرأ في العدد 11 من **المجاهد** لسنة 1957 " يحتوي جيش التحرير الوطني على العديد من المصالح المختصة التي تتطور باستمرار... من ضمن هذه المصالح تلك الخاصة بالدعاية و الإعلام التي عملت على تثقيف الشعب و مراقبة المناطق المحررة

و تطوير التكوين السياسي للمجاهدين، و السهر على تنظيم الاجتماعات العلنية، و إعلام المجتمع الحضري بمستجدات الوضعية السياسية العسكرية و الحفاظ على نفسية الشعب

و حماسه، و شرح الطبيعة التعسفية للجماعات العسكرية الفرنسية غير الديمقراطية

و شرح أهداف صراعنا و فضح الجرائم البشعة للاستعمار الفرنسي".

2- أدمجت الصحافة في الثورة إدماجا على مستوى المسؤولين على الصحافة و على مستوى الشعب.

فعلى مستوى المسؤولين على الصحافة لا سيما بالنسبة لجريدة **المجاهد** فقد كانوا على اتصال دائم مع القيادة السياسية للجنة التنسيق و التنفيذ ثم الحكومة المؤقتة، فكان أعضاء الحكومة السياسية ينشرون مقالات يكتبونها بأنفسهم ضمن هذه الجريدة، كوسيلة لدمج المسؤولين عن الثورة في إيصال مبادئها كونهم الأقرب من المجاهدين و من الميدان الثوري.

و لم يعمل هؤلاء المسؤولون تحت إمرة الوزارة الوصية حتى بعد إنشاء الحكومة المؤقتة، فقد اتسم التحرير بالابتعاد التام عن أوامر معينة، و لم تتدخل الإدارة السياسية إلا بعد استشارتها حول اتجاهات معينة ينبغي اتخاذها أو مشاكل حساسة كما فعل رضا مالك عندما طلب رأي لجنة الإعلام التابعة للجنة التنسيق و التنفيذ بخصوص نشر دراسة حول تصور الثورة، هل هي حرب تحرير أو ثورة ديمقراطية شعبية؟

لم يكن المسؤولون عن الصحافة موظفون بل أعضاء مشاركون في الثورة.

و على مستوى الشعب كانت **المجاهد** لا تصل إلى داخل الوطن و لا إلى كافة أرجائه

و شوشت موجات البث الإذاعي في الكثير من المرات.

إلا أن الجريدة ضربت بقوة في المدن و كانت بمثابة المرجع المعتمد عليه في الصحافة الدولية و بيعت بأسعار خيالية.

وقد صرح عبد المالك تمام،(8) أحد صحفيي الجريدة بأنها تضمنت ثلاث أفكار أساسية: شرح معنى المقاومة، و بالتالي أهدافها و أسبابها، و الإعلام و التعليق على كل حركة يقوم بها الجيش الوطني الشعبي و الفدائيين، و تسليط الضوء على الوجه الحقيقي للمعمر لتوحيد شمل الجزائريين و كسب تأييدهم التام لجبهة التحرير الوطني.

إن محرري ميثاق الصومام و لأجل تسييس الجيش و إيصال مبادئ الثورة إلى الخارج أصروا على السرعة و الوضوح و الصراحة و جدية الصحافة و المسؤولية و تحدثوا عن الشعلة الثورية بلغة مدروسة و محضرة.

قيم رضا مالك المرحلة (الصحافة الثورية) بوفاء للمبادئ و الموضوعية أو على الأقل العمل على تحقيقها بنقل الحقيقة و باحترامها.

و قيم عبد الحميد مهري المرحلة (الصحافة الثورية) ، بالواقعية و المصادقية و الاستقلالية و التزام الموضوعية لنقل الحقائق، و بدمجها ضمن الثورة.

لكن نتساءل و قد سبقنا إلى ذلك إبراهيمي(09) عن جدية الصحافة الثورية في نقلها للوقائع لا سيما إذا ما قارنا محتواها ببعض الوقائع من تاريخ الثورة كموت عبان رمضان، واضع التصور الأساسي لمشروع الصومام، و الذي نقلت المجاهد وفاته على أنها كانت على ساحة الشرف، في حين أن كل مؤرخي الثورة أكدوا على أنه قد أعدم بأمر من بعض قادة حزب جبهة التحرير الوطني.

وما يثير الانتباه أنه لا أحد أيامها شكك في مصداقية الخبر ما عدا بعض قادة الثورة و هذا يدل على تقبل الرأي العام لمحتوى الصحافة.

و قد فهم قادة الثورة بأن تسريب معلومة في منتهى الأهمية (قتل عبان رمضان) كان سيؤثر على الثورة و مجرياتها فتم استغلال هذا الاغتيال ضد المستعمر.

لقد منح مؤتمر الصومام دورا كبيرا للإعلام (الدعاية) من أجل تجنيد الشعب و ترسيخ فكرة الاستقلال لديه، بوضع أهداف ثابتة و واضحة و قد كان الإعلام أحد الوسائل المستعملة لتحقيقها.

لكن بعد 1962، لم يحدد الإيديولوجيون الجزائريون دورا للصحافة في ظل الجزائر

المستقلة.

وهذا راجع إما لانتهاج المقاومة و إما لعدم جدوى تجنيد الشعب أو أن هذا يدعو للتفكير في أن إهمال دور الصحافة هو عن قصد.

و تشير لأن برنامج الصومام لم يضع تصورا لدور الصحافة بعد الاستقلال بل انحصرت أهدافه في نيل الاستقلال و بناء جزائر مستقلة ذات سيادة وطنية، ديمقراطية في إطار المبادئ الإسلامية و في ظل احترام الحريات الأساسية.

لكن ذلك لم يكن سوى مجرد حبر على ورق، شأن البذلة الأنيفة تلبس في المناسبات لتنزع مباشرة بعد انتهائها (10) حسب محمد حربي الذي شارك بنفسه في تحرير ميثاق طرابلس سنة 1962 و الجزائر سنة 1964 معترفا أن كلا من البرنامجين لم يعر اهتماما للإعلام

و لا للحريات الفردية.

في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر المعاصر، اختلفت وجهات النظر بخصوص مستقبل محدد المعالم لجزائر مستقلة و ذات سيادة على جميع الأصعدة بما فيها على الصعيد الإعلامي كقطاع استراتيجي و فعال.

لقد تساءل العقيد لطفي الذي استشهد في الساحة سنة 1960، في ظل الصراعات السياسية و غياب بعض مفاهيم العصرنة، إلى ما سيؤول مستقبل الجزائر و هو ما رواه عنه فرحات عباس أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة(11)

فهل إهمال دور الإعلام هو نتاج هيمنة الجيش على السياسة؟ بالرغم من أن مشروع الصومام وضع في أرضيته و كأولوية من الأولويات تكريس السياسة وجعل الجيش وسيلة من وسائلها و ليس العكس.

و هل إبعاد عبان رمضان في دورة للمجلس الشعبي للثورة في أوت 1957، هو دليل على الفكرة المطروحة مسبقا؟

و انطلاقا من 1960، نتج عن صراعات مسؤولي الجيش إيلاء قيادة أركان الجيش للعقيد بومدين الذي وضع بن بلة على رأس القيادة السياسية.

الهوامش

(1) إبراهيم إبراهيمي، السلطة و الصحافة في الجزائر، باريس، 1987، ص ص 57-66

(2) Mohamed Harbi, Le FLN mirage et réalité, édition JA, 1985,

p p 117- 178.

(3) شهادة أدلى بها رضا مالك لإبراهيم إبراهيمي سنة 1983 ذكرها في المرجع السابق ص16.

(4) شهادة أدلى بها عبد الحميد مهري لإبراهيم إبراهيمي سنة 1984 ذكرها في المرجع السابق ص17.

(5) محمد حربي، أرشيف الثورة الجزائرية، دار النشر الشاب الإفريقي، الجزائر، 1981، ص 583.

(6) محمد حربي، المرجع السابق، ص ص 202، 406.

(7) محمد حربي، المرجع السابق، ص 155.

(8) إبراهيم إبراهيمي، المرجع السابق، ص 24.

(9) إبراهيم إبراهيمي، المرجع السابق، ص 22.

(10) إبراهيم إبراهيمي، المرجع السابق، ص 30.

(11) إبراهيم إبراهيمي، المرجع السابق، ص 192.